ورقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
www.almadasupplements.com
"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (6092) السنة الثالثة والعشرون
الخميس (19) شباط 2026



# لطفية الدليمي

## رائدة السرد العراقي الحديث

# الروائية والمترجمة لطفية الدليمي: أنا كاتبة اعتزلت الصخب العام

حوار: إبراهيم حمزة

لا أحب من يكتبون وكأنهم أسرى محتجَزون في مفاعل نووي يوشك على الانفجار الأكثري من النساء استسلمت للمكوث في منطقة التبلّد وخدر الحواس أصاب بالحسرة عندما أرى حشوداً من النساء المنتقّبات في حرم الجامعات الكاتب الحقيقي لن يحصل على الراحة حتى لو أراد" القاهرة القديمة تأخذ بالألباب، هي الاستعارة الكبرى عن العصر المملوكي... صوت نجيب محفوظ ينبثق من الأزقة الضيقة، نزهة في النيل، نهر السماحة والفيض، تأخذني إلى دجلة» من كتاب «لطفية الدليمي» «مدني وأهوائي" .

وهكذا نحن أمام عدد هائل من المجموعات القصصية، بجوار روايات بقيمة «نساء زحل» «عشاق وفونوغراف وأزمنة» وأخيراً «مشروع أوما» ثم باب مفتوح على اتساعه لمترجمات علمية وأدبية وفلسفية متنوعة، ثم مشروع كتابي يختص بالمرأة بشكل ثوري إنساني، هذا جزء من قيم متعددة لكاتبة عراقية لا تتكرر كثيراً، كأنها استبدلت بحياتها كتبا، عن الحياة والنساء والسفر.

المبدعة العراقية «لطفية الدليمي» في هذا الحوار مع «الأهرام العربي».

> ماذا في طفولتك وأسرتك دفعك للكتابة؟

سحر الرمز هو ما دفعني للكتابة في طفولتي، العالم لكلّ طفل هو سلسلة لا تنتهي من الرموز التي تتخفى وراء أقنعة الصور المرئية، كتاب "ألف ليلة وليلة" كان أول ما شدّني إليه بغلافه العتيق وأوراقه المصفرّة، لم أفهم بالطبع ما الذي انطوت عليه حكايات ذلك الكتاب، وما كان يهمّني ذلك، الطفل لا يسعى للفهم بقدر ما يسعى لتحسس مكامن السحر الخبيئة وراء الكلمات والصور، وهو ما يحفّز فيه دافعية التعلّم وامتلاك الوسائل اللازمة لاختراق عوالم الكبار. يظلّ هذا (السحر الرمزي) ملهماً لي ومرشداً مؤتمناً حتى في أيامي هذه وإن تغيّرت رؤيتي لوسائل التعبير الرمزي وأقانيمه.

> ولماذا تظل حياتك الشخصية منطقة غائمة نوعا ما؟

حياتي الشخصية فأنت تراها غائمة، هل هي حقاً كذلك؟ لستُ أدري إذا كان المقصود عدم انكشاف تفاصيل حياتي الشخصية لتكون مادة للتداول العام، فأقول ليس ثمة كاتب مما يهمّ القارئ في هذا الجانب لأنّ حياتي الشخصية حياة امرأة كاتبة اعتزلت الصخب العام، وكرست حياتها للعمل الجاد، وتجنبت الظهور في التلفزة والمحافل العامة، قد تظهر جوانب مني ومن أفكاري، وتتداخل مع بطلات نصوصي، ولكن ما أسعى إليه دوما، هو أن تكون أعمالي الوسيط بيني وبين القرّاء العرب في كل مكان.

> أول ما يلفت نظري في مسيرتك الهائلة هو تعدد الاهتمامات، هل تشعرين بأن الكتابة قد تأخذ من المرء حياته؟

تعدد الاهتمامات هذا الذي تشير إليه لم يكن ملازماً لنشأتي المهنية الأولى إلا في تعدد القراءات وتنوعها، صحيح أنني بدأتُ محبّة لفنون السرد (رواية، قصة قصيرة) و الكتابة الصحفية ثم أعقب ذلك نشاط ترجمي راح يتوسّعُ مع الزمن؛ لكنّ تشعب اهتماماتي وتداخلاتها بين الأدب والعلم والفلسفة وتاريخ الأفكار بعامة بدأ قبل نحو عشر سنوات على وجه التقريب. دفعني لهذا التنوع كتاب (الثقافتان The Two Cultures) للروائي سي. بي. سنو وهو الكتاب الذي ترجمته لاحقاً وصدر بطبعتين مختلفتين: و احدة ككتاب ملحق بمجلة (الفيصل) السعودية، والثانية عن دار (المدى) العراقية ثم ترجمت كتاب (الثقافة) للناقد الثقافي تيري إيجلتون وبعدها انغمست في متابعة التفاصيل الثقافية و الفلسفية لمفهوم (الثقافة الثالثة) الذي عرضه (جون بروكمان) في كتاب ذائع الصيت له.

نعم بالتأكيد يمكن للكتابة أن تستنزف حياة المرء؛ لكنه استنزاف ممتع، أنت ما لم تشغف بشيء، فلن تمنحه حياتك، ولن تكون مستعداً لكلّ التضحيات اللازمة لهذا الشغف. الكتابة ليست لعبة مجانية نلهو بها فحسب، من ينشد اللهو لن ينجز شيئاً مؤثراً أو مفيداً.

مشقة الخبرات

> لك تعبير لافت للنظر ويدعو للتأمل "الكتابة خصيصة أخلاقية" هل هذا تقديس لدور الكتابة؟ دعنا من هذه التوصيفات اللاهوتية المرتبطة بصفات مثل (التقديس) أفهم أنّ التقديس هنا يراد منه إعلاء الشأن والاستزادة من التقدير، لكن حتى في هذا الإطار لا أحب هذه المفردات.

الخصيصة الأخلاقية التي أعنيها في كلّ منشط كتابي هي أنك عندما تكتب فأنت تسعى – مهما كانت طبيعة كتاباتك – لتمرير حزمة من الخبرات إلى القارئ وكأنك تريد القول: أنا لديّ هذه الحزمة من الخبرات، وقد تحصلتها بمشقة، وأريد تمريرها لأجنّبك مشقة الحصول عليها، الكتابة الإبداعية تسعى لتقليل مناسيب الألم المرتبطة بتحصيل الخبرات في هذا العالم. هذا إلى جانب فضيلتها الإمتاعية ثنائية (الخبرة/ المتعة) هي في قلب كلّ فاعلية إبداعية.

> "الكون والحياة والوعي" هل يغير الزمن نظرتك لأي من أسئلتك التأصيلية الثلاثة؟

قد يكون التغيير بسبب قراءة كتاب جديد أو تحصيل خبرة جديدة من حوارية مع صديق أو الاستماع لبرنامج تلفازي أو إذاعي رصين، أو بسبب ترجمتي لكتاب يتناول أحد شئون هذه الكينونات الجوهرية الثلاث في حياتنا البشرية.

> حسب عنوان لحوارك المترجم مع "دوريس ليسنغ" هل يمكن فعلا للكاتب أن يبحر عمره كله في بحيرة جميلة من السكون والسلام؟ هل الكاتب ابن التأمل أم التوتر؟

في بداياته يكون الكاتب – وكل مبدع عموما – ميالا للتوتر وعدم الاصطبار على إنضاج الأفكار والمفاهيم، إنها لعبة طوفان الأدرينالين!! ثم مع الزمن والخبرة نتعلّمُ الهدوء الجميل ومحاولة الإنصات لتلك النغمات الخفية في عقولنا والكون، أرى أنّ مناسيب التوتر تقلّ مع الزمن مقابل تصاعد مناسيب الاستثارة التأملية الهادئة، مع تزايد حصيلتنا المعرفية وخلاصات تجاربنا، لا أحب من يكتبون وكأنهم أسرى محتجزون في مفاعل ذري يوشك على الانفجار.

> لا يمكن العبور على هذا الزخم الضخم من الكتابة عن النساء لديك، إبداعا وفكرا، هل تغير الكتابة شيئا في وضعية النساء العربيات؟

عندما أكتب عن النساء العربيات لا أتساءل كم ستغير كتاباتي من وضع المرأة العربية. لديّ دافع قوي للكتابة لا يمكن كبحه في موضوعات ثقافية أو فكرة مجدّدة. الكاتب هنا مثل الشجرة التي تحمل ثماراً كل سنة. هل حصل أن تساءلت شجرة: لا يطيب لي أن أحمل ثماراً هذه السنة، لأنّ من يتذوقون طيبات ثماري لا يعاملونني كما أريد .

قل كلمتك وامضِ ولا تلتفت لما يحصل الآن أو ما قد يحصل لاحقاً أوقنُ أنّ الكلمة الطيبة لابدّ أن يكون لها صدى طيب في زمن قَصُرَ أم بَعُد.

> ما الذي يحكم اختياراتك للترجمة؟ هل ترشيح دور نشر أو جهة أم اختيار شخصي؟ وهل تمليلن للكتب ذات الصبغة الفلسفية؟ معظم الكتب التي ترجمتها هي اختياراتي الشخصية باستثناء كتابين أو ثلاثة رشحتها دار النشر التي أعمل معها (دار المدى العراقية).

أميلُ للكتب الفلسفية والعلمية (الفيزيائية بالتحديد) والأنثروبولوجية والكتب التي تتناول تاريخ الأفكار بعامة.

> ولماذا ترجمتِ كتاب "الثقافتان" برغم سبق ترجمته؟

ترجمته لولعي الشخصي الكبير به، أعلم أنه كان مترجماً؛ لكني في ترجمتي لكل كتاب أعمل على خدمة الكتاب، عبر كتابة مقدمة وافية عنه وإضافة حوار مع المؤلف – لو وجد – فضلاً عن ترجمة مراجعة أو اثنتين للكتاب من تلك المراجعات المنشورة في الصحف أو المجلات الثقافية العالمية الرصينة.

هشاشة الروح

> «مدني وأهوائي" كتاب مجمع لرحلات متعددة، لكني أراه كتابا تعريفيا ثقافيا بالدرجة الأولى، ماذا أضفت لفن كتابة الرحلات؟

ما أضفته هو تعشيقي فن الحكاية مع الرحلة بحيث تصبح الرحلة تمرينًا واقعيًا في السرد الروائي. أنت عندما تقرأ رحلاتي لن تقرأ سرداً محايداً مكتوباً بعين ترصف المشهديات بطريقة تلقائية روتينية؛ بل كأنك تقرأ رؤى ثقافية وفصولاً في رواية حقيقية.

> "هشاشة الروح لدى النساء" هل قصدت فعلا في "سيدات زحل" الكشف عن هشاشة المرأة العراقية والعربية عامة؟ هل تطور أحوال النساء العربيات يرضيك ؟

ساءت أحوال المرأة العربية – والمجتمع العربي بعامة – بطريقة ممنهجة منذ بدايات العقد الثمانيني من القرن الماضي وحتى اليوم.

زرتُ مصر في ستينيات القرن الماضي وتجوّلتُ في كبرى مدنها (القاهرة والإسكندرية) كانت الثقافة والتنظيم والمرأة التي ترتدي موديلات نسائية بسيطة وغاية في الأناقة هي المعالم الرئيسية التي لا تكاد تغادر ذهن الرائي؛ أما اليوم فأصاب بالحسرة عندما أرى حشوداً من النساء المنتقّبات في قلب حرم الجامعات المصرية اغتيلت بدايات الحداثة المنشودة بكل قسوة، ما حصل في مصر هو ذاته ما حصل في العراق وسائر البلدان التي عوّلنا عليها لتكون مشاعل التحديث العربي.

ماذا يبقى لي وأنا أرى ما يحدث سوى أن أكتب عن تراجع حال المرأة العربية من جهة، وعن قوة ومقاومة الكثير منهن سواء في روايتي (سيدات زحل) أم في سواها، هناك بين النساء من تحاول تهشيم القاعة المصبوغة حول عنقها؛ لكنّ الأكثرية الساحقة من النساء استطابت المكوث في منطقة التبلّد وخدر الحواس بما يبدو وكأنه تغييب طوعي للوعي.

> مسرحياتك "الليالي السومرية – الشبيه الأخير– كوميديا سوداء – مسرحية الكرة الحمراء – قمر أور– شبح كلكامش" هل اخترت الحوار مع الواقع من خلال قناع تاريخي (شخصية ملحمية على طراز كلكامش مثلا) متوافقًا مع إعادة تكييف السردية التاريخية لكي تصبح مطواعة لتمرير فكرة حديثة أريدُ إسقاطها على الواقع المعاصر، بل هي مكتبة حقيقية تتناولها الأعمال المسرحية لا يحدث تناولها بطريقة احتكاكية خشنة وإنما عن طريق المقاربة الفكرية التي تتوسّم تفعيل ذكاء المشاهد وتنشيط ذاكرته البصرية لكي تتقن فنّ فك التشفير الكامن بين الأفكار الخبيئة في ثنايا المشهديات المسرحية.

> علاقتك بالشعر.. هل قتلتها الحروب والمجاعات والسفر الطويل.. أين الشعر في حياة مثقفة كبيرة مثلك؟

أنا لستُ كائناً شعرياً بطبيعتي، برغم شعرية لغتي في بعض أعمالي السردية الشاعر الذي أحب قراءته دوماً هو (ويليام بليك) الشاعر المتصوف الرسام والشاعرة (أنا أخاتوفا) ما أحبه في الشعر أن يكون أقرب للصلاة الربانية: عندما تريد كتابة الشعر اكتبه بينك وبين نفسك وتلذذ به في خلوتك، يبدو لي أنّ الشعر صار صنعة متاحة لكل راغب بشهرة متعجلة كما يحصل مع كتابة الرواية، بسبب ما قد يتوهمه البعض من عدم حاجة الشاعر والروائي إلى إعداد ثقافي واسع وتجربة عيش ثرية.

> "هشاشة الروح لدى النساء" هل قصدت فعلا في "سيدات زحل" الكشف عن هشاشة المرأة العراقية والعربية عامة؟ هل تطور أحوال النساء العربيات يرضيك ؟

ساءت أحوال المرأة العربية – والمجتمع العربي بعامة – بطريقة ممنهجة منذ بدايات العقد الثمانيني من القرن الماضي وحتى اليوم.

زرتُ مصر في ستينيات القرن الماضي وتجوّلتُ في كبرى مدنها (القاهرة والإسكندرية) كانت الثقافة والتنظيم والمرأة التي ترتدي موديلات نسائية بسيطة وغاية في الأناقة هي المعالم الرئيسية التي لا تكاد تغادر ذهن الرائي؛ أما اليوم فأصاب بالحسرة عندما أرى حشوداً من النساء المنتقّبات في قلب حرم الجامعات المصرية اغتيلت بدايات الحداثة المنشودة بكل قسوة، ما حصل في مصر هو ذاته ما حصل في العراق وسائر البلدان التي عوّلنا عليها لتكون مشاعل التحديث العربي.

ماذا يبقى لي وأنا أرى ما يحدث سوى أن أكتب عن تراجع حال المرأة العربية من جهة، وعن قوة ومقاومة الكثير منهن سواء في روايتي (سيدات زحل) أم في سواها، هناك بين النساء من تحاول تهشيم القاعة المصبوغة حول عنقها؛ لكنّ الأكثرية الساحقة من النساء استطابت المكوث في منطقة التبلّد وخدر الحواس بما يبدو وكأنه تغييب طوعي للوعي.

> مسرحياتك "الليالي السومرية – الشبيه الأخير– كوميديا سوداء – مسرحية الكرة الحمراء – قمر أور– شبح كلكامش" هل اخترت الحوار مع الواقع من خلال قناع تاريخي

# راهبة الزمان الجاحد

ابراهيم البهرزي

أشعر بسعادة مطلقة لما أتمشى أو أدور في أمكنة تفتحت عليها عيون كاتبة من طراز نادر مثل لطفية الدليمي، ذلك الأرشيف الإيكولوجي الهائل الذي يحيطه نهران نزقان يتلويان ما بين بساتين نخيل وليمون وأزقة مدينة صغيرة تفتحت توًا بعد نهايات الحرب العالمية الثانية على آفاق جديدة، وأفكار عنيدة تحاول أن تتوغل بمثابرة الجذور وعنادها في أرض بكر لما تنزل تطرق أديمها الفطرة والطيبة والثقافة الشفوية.

في ذلك الزمان وتلك الأرض كان لوالدها العم سهيل مكتبة في بستان، والعبارة ليست من مجازات الشعر، بل هي مكتبة حقيقية في كوخ داخل بستان، هكذا أخبرني رواة الأحاديث، وربما كانت الصبية لطفية أول ما اكتشفت تلك العلاقة بين الفكرة والشجرة، بين الطبيعة الخالدة والكلمة الخالدة؛ فهي كما تذكر في سيرتها الأدبية صبية دخلت مكتبةً منذ التاسعة من عمرها، وظلت حتى الساعة تصغي وتحاور بفكرها أفكار صنّاع الفكر في هذا العالم منذ ألف ليلة وليلة حتى ستيفن هوكنغ.

لم تشغل لطفية نفسها بتلك الصراعات، والصرعات الأدبية، والسجالات الخلافية في أزمنة صار ذلك فيه كل هاجس المثقف، ولم تسعَ إلى وقفة تحت ضوء ساطع. كانت على الدوام تطل بتلك الهيئة الرهبانية: سيدة جميلة تجلس في مكتبتها مفتوحة النوافذ على فردوس عراقي يمتد في الزمان والمكان، تقرأ وتتأمل وتكتب بطريقة لا تدين بمرجعية لغير ذاتها. كل فكر في هذا العالم قابل للمحاورة في مرجعية لطفية الذاتية؛ فهي لم ترهن أفقها المعرفي في حدود التجربة الأدبية ومشاغلها، بل سَعى فضولها المعرفي بعيداً إلى علوم لا يقربها جلّ المشتغلين بالأدب. لطفية تحاور أهل العلوم النظرية الصرفة، وتحاول مقاربة القوانين الصارمة فيها بحواف الأساطير المائحة، وتتبحّر في أوابد الموسيقى لتعيد صياغة الأفكار على سياقها، وتتمعّن في حفريات التشكيل والنحت خلالها وحدة الوجود والموجود.

قد يبدو هذا الطواف الموسوعي في مختلف مظان الإبداع نوعاً من التشتت لمن لا يقرأ لطفية بتحديق عميق؛ أما المتأمل في ما تدوّن من إبداع أصيل، أو إنتاج ترجمي أو مقالي فإنه سيرى ذلك الخيط السرّي الذي يجمع الأشتات: إنه خيط السنارة الذي يهبط في طبقات الأمواج المتراكمة ليبحث عن تلك السمكة الفضية، سمكة الأمل الإنساني لأشخاص مستوحدين يتأملون هذه المحن التي يصنعها البشر ولا يقنطون.

لأجل ذلك كتبت لطفية، وأجادت في كل الأشكال الأدبية من قصة قصيرة ورواية ومسرح وتأملات ومناجيات وتذكارات وأدب رحلات ومقالات علمية، وترجمت نوادر الكتب التي تشاكل عقلها الفضولي، تلك التي تطرح الأسئلة الغريبة عن العلاقة بين صرامة العلم ورهافة الأدب؛ فهي في كل ما أبدعت أو ترجمت كانت تسعى خلف الأسئلة المرهقة التي يتجنبها الآخرون، وللمناسبة فإن ما تترجمه لطفية يشكل لذاته نسيجاً إبداعياً يحمل نفَس إبداعها السردي من جهة الأناقة في نحت العبارة و السلاسة في إظهار معانيها.

أزعم أن الحياة لم تكن منصفةً مع لطفية في أمور كثيرة؛ ففي عصور الجحود لم يمنحها وطنها ما يكافئ جهدها الإبداعي الثر، بل إنها وجدت نفسها في لحظة من لحظات الزمان الملتبس مقتلعةً من بيتها الذي أسسته بجهد سنين طوال، وربما صار البيت وحدائقه التي تحب نهباً للغوغاء لتحيا بعدها مضطرةً في مدن بعيدة، وما تباكت لطفية على كل ذاك، كل ما فعلته أنها أسست من الكتب بيتاً بديلاً؛ فضاعفت لأجل تعويض المنزل الأول من جهدها الإبداعي كتابةً وترجمةً، وجعلت كل يوم من أيامها تجربةً جديدةً في الإبداع، وربما يكون هذا واحداً من أسرار الغزارة الإنتاجية الأصيلة التي تتمتع بها، حتى أنها لتبدو راهبةً في دير كل جدرانه مكتبات، وكل أرضياته أمكنة للكتابة، ولا أظن أن يوماً واحداً يمرّ في عمرها دون تدوين فكرة أصيلة أو ترجمة فكر خلّاق.

كنت دائماً ما أردّد أن لطفية صانعةُ جمال عميق، ذلك الجمال الذي يتشكّل من طبقات تحتاج لمسح جيولوجي لتسبر كلّ مفاتنه؛ فخلف كل سطر تدوّنه هنالك ظلال سطور ينبغي أن تلحظها محفورةً في آثار تلك السطور. إنني أشبّه مجمل إبداعها بابتسامتها الساحرة المشرقة أبداً، تلك الابتسامة التي لا تنتهي بمغادرة الصورة؛ فهي تظل تطارد بإشراقها الناظرَ حتى يرى أبعد مما رأى. أرى سحر ابتسامة لطفية في كل سطر قرأته لها، لا أراه بالفتنة وحدها، بل بالإشراق أيضاً. ليس غريباً أن يكون ملمحٌ من كاتب ما مفتاحَ إبداعه، هكذا أنظر إلى كبار الكتّاب دوماً فأجد في كلٍّ منهم ملمحاً فيه يفسّره، وربما كانت ابتسامة لطفية الساحرة هي ذلك الملمح الذي يفسّر ذلك الضوء المتفجر بين سطورها، ويخيّل إليّ في كثير من الأحيان أنها ظلّ أميرة سومرية ظلّت مبتسمة منذ الألف الخامس قبل الميلاد رغم كل غزوات الهمج التي تواترت على عالمها، وربما يكون ذلك هو السر الذي جعل من لطفية لا تلتفت أبداً للأضواء، وربما تكون مكتفيةً بذلك الضوء المنبعث على ابتسامتها من براكين عقلٍ متّقدٍ لا يركن مطلقاً لفكرة الخمود.

إنها تبتسم ولا تتكلم، تتأمل وتكتب، تصغي وتكتب، وكأن الكلام لا يعني عندها غير ذلك الحرف المكتوب، والعجيب أنها لا تكرر ما تكتب؛ فهي في جدة دائمة دائمة وكأن الأفكار الأصيلة تتوالد عندها من تلك المكتبة البعيدة في ذلك الفردوس الذي ولدت فيه، حيث الشجرة والكتاب، الحرف والثمرة، المداد والنسغ، كلها في تناغم وتواصل يديمان وحدة الإبداع والكينونة.

عن الأهرام العربي

# أمنا العظيمة لطفية الدليمي

ستار كاووش

" تعلمت في حياتي على نحو باهر من شخصيتين: بيكاسو ولطفية الدليمي". يقولون خير الكلام ما قلّ ودلّ، وهذا ما يشكل لي الآن محنة بسبب صعوبة الإحاطة بما أريد قوله في هذه السطور القليلة؛ ولأن الموضوع يتعلق بأستاذتنا الاستثنائية لطفية الدليمي لذا ليس من السهل اختصار الكلام وإيجاز العبارات التي يمكن أن تفيها حقها علينا وعلى ثقافتنا وإبداعنا. نادرةٌ هي الشخصيات التي بهرتني كما فعلت صاحبة "سيدات زحل"، وكثيراً ما فكرتُ بيديها السخيتين وقد تحولتا إلى سبع أيادٍ تمنحنا إبداعات مختلفة وكأنها أيقونة مقدسة تَمَثَّلتْ الرقم سبعة الذي يشير إلى الكمال في الكثير من الحضارات والثقافات القديمة؛ فهي تمنحنا رواياتها الرائعة بيد، وبيد أخرى تزوّدنا بقصصها القصيرة؛ أما ترجماتها المذهلة فتهبنا إياها بيدها الثالثة، وفي الرابعة تضع بين أيدينا مقالاتها المهمة، أما يدها الخامسة فتردفنا من خلالها بعمودها الأسبوعي الذي يمدنا بطاقة إيجابية للمضي في هذا العالم بينما تبسط يدها السادسة نحو آخر تطورات العلم الذي تهتم به بشكل يوازي اهتمامها بالأدب، إضافة إلى كل ذلك تفرش لنا أستاذتنا يداً سابعة مليئة بورد الأمل ومحبة الانسان وروح التفاؤل وفطنة الأم التي تعطي وتمنح وتهدي بسخاء (وتضيء العتمة) دون انتظار لجائزة عابرة أو سلطان واهم، ولسان حالها يقول إن الأيدي لم تُخلق للتصفيق بل لترك أثر جميل في هذا العالم.

يَدّعي الكثيرون أن ممارسة إبداعات مختلفة غالباً ما يأتي من جرفها جميعاً ويؤثر على قيمتها؛ لكن هذه النظرية سرعان ما تصبح مدعاة للشك حين تغمرنا مياه هذه المرأة الجميلة التي أثبتت أن غزارة الابداع دليل على خصوبة أكيدة؛ فهي أرض خصبة صالحة لزراعة مختلف الإبداعات، تربتها تشبه تربة العراق التي جُبلَتْ منها، وهي شجرة متعددة الثمار، وارفة الظلال وجميلة المنظر، تمنح بستان حياتنا الكثير من العطر والعذوبة والحضور المحبب للنفس.

التصالح مع النفس ومحبة الانسان لعله وما يقوم به يمنحه طاقة عجيبة ومتجددة، وهذا ما يفعله أيضاً الحضور الجميل والسخاء والمحبة التي يتحلى بها المبدع؛ فيضيء كلّ ذلك روحه وينعكس على نتاجه، ولأن لطفية الدليمي تحمل هذه الصفات لذا نراها حاضرة متوقدة وعالية المكان والمكانة وهي تمضي في طريق واضح وجميل اختارته لنفسها وصارت كلما تعطي تكبر وكلما تمنح تعلو وكلما ترشد تزهو.

لم أتعلم في حياتي بشكل باهر سوى من شخصيتين هما بيكاسو، الذي عرفتُ وفهمتُ من خلال أعماله وعبقريته كيف أجعل الرسم فردياً ويعكس شخصيتي، وكأنه كتاب مذكراتي الذي تغفو عليه أيامي، وطفولتي التي أستعيدها على سطوح هذه القماشات الملونة، والشخصية الثانية هي لطفية الدليمي التي علمتني أن اليد التي ترسم الجمال يمكن أن تكتب حين تتوفر على الحساسية المناسبة، وروح التطلع والمطاولة في المحاولات التي لا تتوقف. هذه المرأة علمتني كيف أصيغ عباراتي وأنا أتابع كتاباتها بلهفة، لهفةً أحاول ألاّ أجعلها بادية على ملامحي، ليس ترفعاً بل انسياباً وانغماراً في ذروة التعلم والمطاولة في الفهم. هي صديقتي وأستاذتي وإحدى نخلات العراق، امرأة من ذهب وعطر، وكتبها هي الشاهد وهي النتيجة.

ذات مرة كان لديّ افتتاح معرض في عمّان، وكانت تلك المناسبة هي الأولى التي أعود فيها لعرض لوحاتي في بلد عربي بعد سنوات طويلة من الغربة. كنت سعيداً يومها، فالوقتُ قد حان للقاء الأصدقاء والصديقات من المبدعين حيث أعود لناسي مثل ابن ضال اشتاق لأهله، وقبل المعرض اتصلتُ بلطفية الدليمي كي أخبرها بافتتاح المعرض في ذات المدينة التي تعيش فيها، عمّان، عندها فرحتْ بهذا الخبر واللقاء، وقالت "سأكون أول الحاضرين"، وفعلاً عندما حان ميعاد افتتاح المعرض أطلّتْ أستاذتي من مدخل الغاليري وهي تضيء المكان مثل زهرة رازقي عراقية، بل مثل قمر بابلي جاء من بعيد ليضيء لي المعرض. احتسينا القهوة ونحن نتجول معاً بين اللوحات التي أصبحت أكثر جمالاً بوجودها، وتحدثنا عن الفن والإبداع العراقي وأحوال البلد التي لا تسرّ مع الأسف، واجتزنا باحة الغاليري ونحن ننظر إلى السماء كما ننظر إلى أمل قادم لبلدنا البعيد.

أتذكّرُ بعدها حين بدأتُ بترجمة رسائل فنسنت فان غوخ إلى العربية، كانت هي الوحيدة التي أرسلتُ لها أول رسالة ترجمتُها، لتقول لي رأيها، وعندما وصلني رأيها مع بعض الهوامش عرفتُ أنّ طريقي سالكة، وما عليّ سوى وضع القفازات بيديّ والمضي بنظرة ثاقبة كنظرة "وليم تل"؛ فحين تقول لطفية الدليمي رأياً يشير إلى بعض الجودة في ما أكتب فهذه هي شهادتي وهذا هو مرادي.

لم أتحدث هنا عن لطفية الدليمي وكتبها وتفاصيل إبداعها الذي صار أحد كنوز بلادنا الثقافية، فذلك يحتاج إلى كتب عديدة لإنصاف ما أنجزته وما جاد به قلمها، بل أردت أن أحييها كإنسانة عظيمة تمنح الإلهام، وتفتح النوافذ لنشمّ أريج الكلمة التي لا تخطئها الحواس، وتغرس شتلات الأمل لتتفتح وردا وزهور محبة، تفتح طريقاً هنا ودرباً هناك كي نمضي بيسر، ولا نركل أحجار الطريق، تشير إلى قمر في سمائنا الإبداعية فيتحول القمر إلى مصباح يضيء لنا مسابات جديدة. لطفية الدليمي التي تعيش بعيداً عن دارها ودوّارها، حيث تستقر جذورها عميقاً في تربة أرض الرافدين التي أحبّتها وانتمت إليها بروحها وحرفها، نعم جذورها هناك بينما أوراقها تتفتح في عمّان، وثمارُها تتوزع في كل بلد يصله حرفها وكلمتها الأسرة.

غالباً ما أرسم الشخصيات التي أحبها وأشعر بانتماء لها، وعادةً ما تكون هذه الشخصيات من الوسط الثقافي وتنتج الإبداع والثقافة والمحبة، لذا كانت لطفية الدليمي في مقدمة من رسمتهم، وقد حاولتُ، في البورتريه الذي رسمته لها، أن أعبّر عن رفعة شخصيتها وجمال إبداعها وروحها وحضورها العالي، حيث جعلت الخطوط والأقواس تتقاطع على ملامحها لتمنحها مسحةً فيها شيء من القداسة التي تعيدني إلى رسوم الزجاج المعشق بالرصاص، الذي يستقر على النوافذ الكبيرة للأماكن المقدسة، وهكذا جاء البورتريه بألوان مضيئة تشبهها. في هذا البورتريه جربتُ الإمساك بلحظتين: لحظة الغياب ولحظة الحضور، لأمزجهما معاً محاولاً التعبير عن شخصيتها الفريدة التي اجتمع في نظرتها الحالة شرودٌ خفي نحو بغداد مع تطلع وثقة واندفاع إلى الأمام.

يشير الكثيرون إلى أن لطفية الدليمي تعتبر من المدافعات عن حقوق المرأة وإعادة اعتبارها ومكانتها، لكني أراها مدافعة عن الإنسان وقيم الجمال، أراها وهي تحصد سنابل كلماتها كتباً، تشير إلى الأشجار والنخيل، تكتب عن الرجل الذي تقاسم معها الخليقة وعمّرَ معها الأرض، تكتب عن الزهور والمحبة بين الناس، توائم كلماتها مع أخيّاتها سواقي العراق وبساتينه البعيدة، تكتب للعدل والمساواة والتسامح، فتمنح كلماتها جناحين هما المرأة والرجل معاً، وبين كل هذا وذاك لا شيء يعلو عندها على المحبة.

عادةً ما تمنح البلدان جوائز لمبدعيها الكبار للاحتفاء بهم وبمنجزهم، لكنّ لطفية الدليمي عكست الصورة بشكل استثنائي ومرهف بعد أن حصل العراق كله على جائزة اسمها لطفية الدليمي، جائزة فرشتها لطفية بين بساتين بلاد ما بين النهرين ونخيلها وهي تنادي بالمحبة والسلام والعدل واحترام الإنسان، فمنذ كتابها الأول "ممرٌّ إلى أحزان الرجال" وحتى هذه اللحظة ما زالت لطفية الدليمي – وستبقى– تنقلنا عبر ممرات يغمرها الجمال والمعرفة والهداية والأمل.

أمي العظيمة لطفية: لك مني سلام عراقي يليق بك، لك بستان محبتي وورد روحي.





# عالم لطفية الدليمي

حسن مدن

أنهيت مؤخراً قراءة الرواية القصيرة للطفية الدليمي "عالم النساء الوحيدات"، التي تضمنها كتاب حوى – إضافة إلى الرواية – بعض القصص القصيرة للكاتبة؛ فوجدت في الرواية، كما في القصص، تلك الطواف في عوالم النساء، تبرع الكاتبة في ولوج دواخلهن وتمزّقاتهن وأشواقهن وتوقهن.

قد نجد تعبيراً عن ذلك فيما قالته الكاتبة على لسان بطلة الرواية "هل يعرف الناس أن لغرفة النساء الوحيدات رائحة خاصة لا تميزها سوى النساء؟ لا أعتقد أن هناك من يعرف أسرار غرفة النساء الوحيدات سوى النساء، وليس كل النساء؛ فأسرار تلك الغرف بما تعجّ من أفكار وحكايات ومشاعر وتضحيات هي عالم مختلف مليء بالأسرار، برائحة البكاء والحزن يحمل في جنباته لحظات فرح لم تكتمل، ولحظات سعادة سُرقت قبل أن تكتمل، أحلام أمومة رحلت قبل أن تأتي، قصص حب لم تكمل طريقها".

لكن الأمر لا ينحصر في كون البطلات نساء، وإنما أيضاً لكونهن نساء عراقيات تحديداً، ينتمين إلى البلد المثقل بالأوجاع وذاكرة الحروب المدمرة، وباستشراف الغرائز والنزعات المذهبية والطائفية فيه، التي حولت هذا البلد – المنارة للثقافة والتقدم إلى غابة صراعات تتناسل على مدار عقود، وقدّر للكاتبة أن تعيش شخصياً معظم فصولها الموجعة.

ليس أبلغ مما قالته بطلة قصة "عشاء لاثنين" التي تضمنها الكتاب في وصف الحالة الموحشة التي آل إليها العراق "أفتحُ نوافذ الغرف ويدخل البيت هواءٌ نديٌ مع صخب حياة جموح، يقتحم وحشة غرفتي، كل شيء في الخارج مهدّد بالنهاية، الأمكنة تتبدل معالمها، تنهار وتتهم، الأشجار تكبر وتشيخ، الأنهار تواصل رحيلها نحو الخليج والصغار يكبرون ونحن تطاردنا محنة الفقد".

سبق لي ككاريً أن عشت مثل هذه العوالم حين قرأت رواية "سيدات زحل" التي سجلت فيها لطفية الدليمي اللحظات الفاصلة في تاريخ العراق الحديث، حين اجتاحته قوات الغزو الأميركي بذريعة إنهاء الدكتاتورية فيه وإقامة الديمقراطية؛ فاستبدلت دكتاتورية الفرد الطاغية بمنظومة من الدكتاتوريات التي لا تقل طغياناً، وأقامت نظاماً للمحاصصة المذهبية والطائفية التي نالت من الهوية الوطنية للعراق حتى كادت أن تبددها، وأعادت المجتمع عقوداً للوراء، كما عشت مثل هذه العوالم أيضاً في روايتها القصيرة "موسيقى صوفية" التي استوحتها من حياة الشاعر الفيلسوف الراحل عزمي مورد لي ورفيقة حياته ناديا نصار؛ ففي سنة ١٩٧٩ زارتهما في منزلهما الدمشقي حيث عزف الشاعر مقطوعاته الصوفية على العود، فحملتها أنغامه بعيداً لتحلق بها نحو ذكرى زيارة قديمة لضريح جلال الدين الرومي، وبعد عشر سنوات على هذا اللقاء كتبت لطفية الدليمي هذه الرواية التي تحكي عن أرملة تقرر الخروج من ركود الوقت والبيت فتنتفض مثل طائر مائي أثقلت جناحيه أوحال البرك الآسنة، فتتمتم لنفسها سأغير كل شيء، وتبدأ بتغيير ستائر البيت حيث جعلتها ستائر رقيقة تشف عمّا في الشارع.

لكنّ ما رأته المرأة هنا يختلف عمّا رأته بطلة "عشاء لاثنين"؛ فقد أتاحت لها الستائر الشفافة أن تشهد الحياة، وأن تنبثق قصص الآخرين في اللحظة التي تقع عليهم عيناها، فيصبحوا موضوعاً جديراً بالاهتمام، وترتبط بهم: تفسّر حركاتهم الزائفة والصادقة، تعابيرهم المتلاعة والفرحة، ويحيكون لها نسائج الدراما اليومية رغم تكرارها وابتذالها.

لطفية الدليمي في رواياتها وقصصها ومجمل ما تكتب تفعل فعل هذه المرأة، من خلف ستائر شفيفة تحكي لنا الحياة، الحياة الإنسانية عامة وحياة العراق المثقل بالجراح والآلام والمبتلى بأشد المحن وأعصاها، وتقول لنا عن ذلك بلغة أخاذة، رشيقة، وأنيقة.

× × ×

كقارئ عرفت أدب لطفية الدليمي أول مرة من خلال قصة قصيرة وقعت عليها عيناي في منتصف التسعينات الماضية، ولذلك حكاية سبق لي أن رويتها في إحدى مقالاتي عن الكاتبة وأدبها؛ ففي سنة من السنوات العجاف التي كان العراق فيها مخنوقاً بالحصار الجائر الذي فُرض على شعبه من قبل وصفه جورج بوش الأب بالنظام الدولي الجديد، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، حمل الأديب العراقي – المقيم، يومها، في الإمارات – محمود سعيد، وكان يتردد على العراق بين فترة وأخرى، رزماً من النصوص الأدبية المميزة لنخبة من أبرز الأسماء العراقية المبدعة في الشعر والقصة والنقد الأدبي، وما إلى ذلك، وسلّمني إياها كي تجد طريقها للنشر على صفحات مجلة "الرافد" الصادرة عن دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، وكنت، آنذاك، مديراً لتحريرها، وبالفعل وجدت تلك النصوص، بالتوالي، طريقها إلى أعداد المجلة؛ لكن نصاً قصصياً مما نشرناه في «الرافد» استقرّ في ذاكرتي طويلاً، هو نفسه القصة القصيرة التي عنيتها للطفية الدليمي، يدور فيه حديث عن امرأة فرضت عليها ظروف الحصار أن تأخذ بعض أغلى ما تملك من كتب في مكتبتها لتبيعها، وفي طريق العودة ابتاعت بثمن تلك الكتب بعض ضرورات العيش وشيئاً من البُن، وحين عادت إلى البيت حضّرت لنفسها فنجاناً من القهوة، وما أن احتست منه بعض الرشفات حتى شعرت بمغص شديد في معدتها فتخيلت أن مبدعي الكتب المباعة ينتقمون منها لأنها فرّطت في كتبهم. ستغدو هذه القصة إيذاناً بحرصي اللاحق على قراءة كل ما يقع في يديّ من مؤلفاتها التي تتنوع بين التأليف والترجمة المبدعة، وقدّر لي بعد سنوات، يمكن القول إنها كثيرة، أن ألتقي بالكاتبة بعد أن أصبحت تقيم في عمّان، حيث حملتها محنة بلادها على مغادرتها مكرهة، ولكنها تقاوم الغربة بالكتابة المثابرة المتألقة بلغتها الرشيقة، السلسة والعميقة، وبالترجمات المميزة وبخاصة تلك المتصلة بفنّيْ الرواية والسيرة كترجمتها كتاب جيسي ماتز «تطور الرواية الحديثة»، والسيرة الذاتية لكولن ويلسون «حلم غاية ما».

أصبحت كلما زرت عمّان للمشاركة في فعاليات ثقافية أحرص على اللقاء بالكاتبة التي وجدت في شخصها – كما قد وجدت في كتاباتها – نموذجاً للمثقفين العراقيين الإنسانيين الذين نجوا بأنفسهم من أدران الطائفية والمذهبية، على أنواعها وتلاوينها، وظلوا ممسكين بجمرة الوعي بأن مستقبل العراق لا يستقيم بالطريقة التي يُدار بها اليوم لا من قبل من يمسكون بالسلطة، ولا بالنوازع العشائرية والتكفيرية، وإنما بخيار الدولة المدنية الديمقراطية التي يستحقها العراق بما فيه من نخب متعلمة، كفؤة، ومن تقاليد سياسية عريقة.

كلما طالعتُ لها كتاباً، رواية أو مجموعة قصصية أو ترجمة لكتاب أجنبي، أتساءل بيني وبين نفسي: من أين تأتي هذه المرأة الاستثنائية بالوقت لكي تنجز كل هذا؟ الجواب عند لطفية الدليمي ليس صعباً؛ فقد كرّست حياتها، وبخاصة منذ أن استقرت في عمّان، للكتابة والقراءة وحدهما، وأصبح في جعبتها عشرات المؤلفات بين الرواية والمجموعات القصصية والمذكرات والسير، ونحو خمسة وعشرين كتاباً مهماً ترجمتها عن الإنجليزية، فضلاً عن نصوص في الدراما، وأبحاث ودراسات في الأدب والأسطورة والتاريخ.

وهي أيضاً متميزة في اختيار اتها للكتب القيّمة التي تترجمها، وانعكس اهتمامها كروائية على نوع ما تختار حيث أثرت المكتبة العربية، خلال السنوات الماضية، بعدد مهمّ من الكتب التي تتناول كل ما يتصل بالرواية من فضاءات وتقنيات وتجارب، كما أولتْ عناية خاصة بترجمة سير شخصيات انتقتها بعناية، بينها – على ما أذكر– ترجمتها لسيرة عالم الصواريخ ورئيس الهند الأسبق زين العابدين عبدالكلام.

بين إصدارات لطفية الدليمي كتابٌ يتصل بأدب الرحلات، سمته «مدني وأهوائي»، سبق له أن حاز "جائزة ابن بطوطة للرحلة المعاصرة"، ومقرها أبوظبي، وهو كتاب أليف، رشيق العبارة، تصحبنا فيه الكاتبة في رحلاتها إلى مدن وبلدان بلغتها الشفيفة، وروحها المستكشفة للجمال.

على النسخة التي أهدتها لي من كتابها المترجم «نزهة فلسفية في غابة الأدب» كتبت لطفية الدليمي تقول "هذه النزهة الفكرية فسحة لاجتلاء ما يربط الفلسفة بالفعل الإبداعي".

في أقل الكلمات وأدقّها شخّصت المترجمة مضمون الحوارية بين أيريس مردوخ وبريان ماغي حول ما هو فلسفي في الأدب وما هو أدبي في الفلسفة، وعلى صغر حجم الكتاب فإنه ثري بالأفكار وملهم ومحرّض وينير زوايا معتمة أو لم يُسَلّط عليها من قبل الضوء الكافي، حول العلاقة بين الأدب والفلسفة.

القارئ الحصيف يستطيع أن يتبين وهو يقرأ أدباً ما إذا كان كاتبه تحصّل على تأسيس فلسفي يُعتدّ به، أو أنه كاتب عادي أو حتى سطحي. لن تغني اللغة الجميلة للكاتب، أيّ كاتب، عن الفكر، الفكر الفلسفي تحديداً؛ بل إن هذا الفكر يغني بدوره لغة الكاتب ويطوّر مهاراته الأخرى، وأحسب أن هذا ينطبق على الكثير مما كتبته لطفية الدليمي من أدب.

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6092) السنة الثالثة والعشرون - الخميس (19) شباط 2026

# لطفية الدليمي في مرآة النقد الروسي: رائدة السرد العراقي الحديث

أماليا ماكروشينا*

ترجمة: فالح الحمراني



ظهر في العقود الأولى من القرن العشرين، عدد من الكاتبات العراقيات ومنهن سلمى بنت عبد الرزاق الملائكة، الملقبة بـ«أم نزار الملائكة»، وفطينة نائب، التي كتبت تحت اسم مستعار هو صدوف العامرية، ومقبولة الحلي أو عفراء، وغيرهن. وتغيرت مكانة الكاتبات في المجتمع بالتزامن مع التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي تشهدها البلاد. ودخلت أسماء جديدة الساحة الأدبية العراقية، لتصبح من أبرز الكاتبات العربيات. وشهد عام ١٩٣٧ نشر أول قصة قصيرة لكاتبة عراقية، عندما نشرت دلال خليل صفدي ذات الأصول اللبنانية مجموعتها القصصية «أحداث ووقائع»، التي رأى العديد من النقاد إن هذه القصص لم تتوافق تماما مع مفهوم القصة القصيرة، بل قدمت مقالات بلاغية. وكانت رسالتها الدعوةً إلى مراعاة المعايير الأخلاقية للمجتمع.

وبعد حوالي عشر سنوات، وتحديدا عام ١٩٤٨، نشرت مليحة إسحاق روايتها «عقلي دليلي». يُعد هذا العمل أكثر نضجا من حيث المحتوى، إذ يتتبع تطور الشخصية الرئيسة على مدى عدة عقود تجدر الإشارة إلى أن الأخلاق ودور المرأة في المجتمع كانا موضوعين مفضلين في الرواية النسوية العربية. كما تناولت الكاتبات اللاحقات هذه المواضيع من زوايا مختلفة في كتاباتهن.

وركزت روايات الخمسينيات والستينيات وما بعدها على موضوع آخر: العلاقات داخل الأسرة التي تنطوي على الخيانة، وكفاح المرأة ضد المعاملة غير العادلة والقسوة والعنف ضدها. وقد سلط الناقد الأدبي عمر طالب الضوء على هذه الخطوط القصصية في أعمال سافرة جميل حافظ، وسميرة المانع وميسلون هادي وعالية ممدوح هادي ولطفية الدليمي.

دخلت لطفية الدليمي عالم القصة العراقية في السبعينيات بنشر مجموعتها «ممر إلى أحزان الرجال»، وتوالى نشر أعمالها بين القصة القصيرة والرواية، التي تركت بصماتها على السرد العراقي ومثلت منعطفا في طريقه. وهي الآن مؤلفة لأكثر من عشرين مجموعة من القصص القصيرة والروايات، وخمس مسرحيات والعديد من السيناريوهات وثلاث مجموعات من المقالات. ويركز عمل الكاتبة عادة على حياة المرأة العربية، مع همومها ومشاكلها وأفكارها. فمن بوسعه الكتابة عن هذا أفضل من المرأة العربية نفسها؟ ووصف الناقد فاضل ثامر، لطفية الدليمي بأنها مؤسسة نوع واقعي جديد في الأدب.

كما كتبت الدليمي في أدب الرِّحْلات والنقد والشؤون الثقافية ونظرية الرواية.. وشكّل تناول الواقع العراقي المعاصر الموضوع المركزي الثاني في إبداعات الكاتبة الروائية. عانى العراق على مدى سنوات طويلة متتالية من الحروب والدمار، وغدت حياة الإنسان/ المواطن في ظل الخوف المستدام على الحياة الشخصية، وحياة الأقارب مأساة للمجتمع العراقي المعاصر، الذي اضطر الكثير من أبنائه مغادرة وطنهم. وعلى هذا الغرار اضطرت لطفية الدليمي، التي لم ترغب حتى اللحظة الأخير مغادرة موطنها بغداد، على الرغْم من إلحاح أقاربها وأصدقائها على الهجرة. وأودعت الكاتبة ألمها، وهموم شعب بِرُمَّته في رؤية ثاقبة ومروعة عن الحياة في أثناءِ الحرب. وكرّست دار المدى ملحقا خاصا عن إبداعاتها، وأقامت ندوة للاحتفاء بتجربتها الثقافية، تتناول رواية «خسوف برهان الكتبي» للأديبة تعقيدات حياة ومصاعب المثقف في العراق. وتكتب الدليمي بلغة غنية مليئة بالصور والاستعارات، واصفة معاناة شخص، اضطر بيع أغلى ما لديه، كتبه. وكانت الكتب تعني كل شيء للشخصية الرئيسية – فهي حياته ذاتها. ورصد النقاد أن الكاتبة تمزج في هذا العمل أنماط أساليب مختلفة. وعلى هذا النحو تُستبدل مقاطع شعرية بصورة غير متوقعة بحوارات عن نهاية العالم، مع أنّ النص يظل في الوقت نفسه واقعيا تماما. ومن بين الأعمال اللافتة للكاتبة رواية بعنوان «سيدات زحل»، التي صدرت عام ٢٠١٢. تتكون هذه القصة، المقدمة على شكل مذكرات، من (تسعة) فصول. تم جمع التسجيلات من قبل الصحافية حنان البابلي، التي تنتمي إلى إحدى العائلات العراقية الأكثر شهرة. وتجري أحداث الرواية على خلفية الأحداث التي هزت العراق قبل وبعد بعد الغزو الأمريكي للبلاد عام ٢٠٠٣. وتبدأ الكاتبة الرواية بأسئلة، تحاول أن تجد أجوبتها في السرد. ويشبه وصف لطفية للضربات العسكرية الأولى على بغداد لقطات فيلم لإثارة رعب الناس العاديين، وأعيد سردها نيابة عن شهود عيان. ونالت الرواية شهرة واسعة لدرجة أنه أعيد نشرها ثلاث مرات.

ويحظى إنتاج لطفية الدليمي الإبداعي بتقدير كبير من قبل زملائها، على سبيل المثال، كرست الشاعرة العراقية دنيا ميخائيل، التي تعيش حاليا في الولايات المتحدة، إحدى قصائدها بعنوان «ليس أنا.. م» يشبه العمل في الشكل والمحتوى، تهويدة تغنيها الأم لطفل، تعيد القارئ إلى الطفولة. يعتقد النقاد أن تجسيد صورة الأم هو لطفية الدليمي، التي كرست لها الكاتبة قصيدتها. ترجمت أعمال الكاتبة إلى لغات أوروبية وآسيوية، وحصلت مجموعتها «الموسيقى الصوفية»، الصادرة عام ١٩٩٤، على جائزة أفضل عمل أدبي في العام نفسه. وللأسف، لم يُنشر غير عمل واحد من أعمال لطفية الدليمي باللغة الروسية. إذ نُشرت لها قصة قصيرة بعنوان «النجاة في أرض الموت» ضمن مجموعة «لؤلؤة الشرق» النثرية العراقية الحديثة الصادرة عام ٢٠١٥. ويمكن تصنيف القصة المنشورة في المجموعة ضمن النوع الأدبي الإخباري أكثر من كونها عملا روائيا. تصف لطفية الدليمي بألم ويأس، بضمير المتكلم، يومها المعتاد في مسقط رأسها بغداد، التي تحولت فجأة إلى ساحة حرب.

وغدت الأنشطة الروتينية – كإعداد الفطور، وقراءة كتاب، ومشاهدة التلفزيون – رفاهية بعيدة المنال للناس. وبدت كلمات الكاتبة مروعة: «الساعة الثامنة صباحا هي وقت حديث يومي مع صديقتي الفنانة حنة. في وقت محدد صباحا ومساءً، نتصل ببعضنا بعضا عبر الهاتف لنتأكد من أننا ما زلنا على قيد الحياة... من عادتنا أن نخبر بعضنا بعضا بتحركاتنا، كما لو كنا نؤمّن أنفسنا من المفاجآت والموت العرضي».

لطفية الدليمي ليست مؤلفة قصص وروايات فحسب، بل مؤلفة مسرحيات أيضا. ولذلك، مُنحت مسرحيتها «ليالٍ سومرية» جائزة أيضا، وعلى الرغم من كل الظروف، يستمر الأدب النسائي في العراق في التطور. بدءا من الشعر التقليدي والقصص القصيرة البسيطة في المحتوى والشكل، توصلت الكاتبات العراقيات إلى أشكال وأنواع جديدة في إبداعهن، بعد أن نجحن في العثور على مواضيع قريبة ومثيرة للاهتمام للقارئ. ووفقا لنقاد الأدب، فإن أدب المرأة العراقية له سمة محددة تميزه إلى حد ما عن آداب الدول العربية الأخرى. يكمن في حقيقة أن أدب المرأة العراقية لم يعارض أبدا أدب الكتاب الذكور، بل على العكس، أكمله، وعلى هذا تشكلت صورة موحدة ومتعددة الأوجه للعالم.

× أستاذة اللغة العربية وآدبها في كلية الدراسات الشرقية في جامعة سانت بطرسبورغ الحكومية



# في التجربة الإبداعية والإنسانية للطفية الدليمي

محمد حياوي

منذ أن فتحت لطفية الدليمي ممرًا إلى أحزان الرجال (مجموعتها القصصية الأولى الصادر في العام ١٩٧٠)، وهي تحاول تحسس مواطن الأثر الذي تتركه تلك الأحزان على أرواح النساء من بنات جنسها. ليس فقط على الصعيد الواقعي بواسطة نشاطاتها الكبيرة والكثيرة في مجال حقوق المرأة والانتصار لها وإبراز مظلوميتها ورصد مكامن الحيف الذي تتعرض له، لكن أيضًا على صعيد الأدب والإبداع، فكتبت عن "عالم النساء الوحيدات" والفردوس الذي سترثه النساء في "من يرث الفردوس" وعن" سيّدات زحل" اللواتي يسبحن مثل الأقمار في الكون الفسيح.

في الواقع لم ينحصر عطاء وبحث ومنجز لطفية الدليمي في مجال حقوق المرأة وكل ما يسلّط الضوء على إنسانيتها، في العطاء الأدبي والإبداعي والنشاط الاجتماعي الفاعل، بل تجاوزه إلى ما هو بحثي وتاريخي، فدرست أوضاع المرأة المبدعة في حضارات العراق القديمة، وجدل الأنثى في الأسطورة ونفيها من الذاكرة، كما كتبت عن حريّة المرأة في ظل أنواع الإرهاب والعنف السياسي والعائلي والاجتماعي وعنف الاحتلال.

في توصيف ظاهرة لطفية الدليمي الثقافية وملامحها وأسباب تبلورها في حالة المثقف الفرد، وكيف يمكن أن يشكّل ظاهرة من نوع ما، مثل الكتابة عن لطفية الدليمي. ليس الكاتبة والمترجمة والناشطة المدنية، بل الظاهرة الثقافية المتواصلة والمتجددة، لجهة إصرارها على الحضور الفاعل، سواء في الصحافة الثقافية أو التأليف الإبداعي والترجمة والإعداد والمتابعة أو حتّى في الحياة الثقافية.

أدبيًا تنتمي لطفية الدليمي إلى الجيل الوسط بين الستينات والثمانينات في العراق، وهو جيل طالما شغل حيزًا مهمًا وجدليًا في المساحة الإبداعية العراقية، بعد أن أسّس رؤاه وامتلك وعيه النقدي وهويته الإبداعية في أعقاب متغيرات كبيرة ومتداخلة من تاريخ العراق السياسي المضرب، فحول اختلافاته وتصادماته الفكرية إلى وقود ومحفّز لترسيخ عطائه وتنوعه وإثراء تجاربه الخلاقة.

وفي خضم تلك التجارب المتلاطمة لهذا الجيل المهم، كان على لطفية الدليمي، ابنة المدينة الصغيرة الوادعة شرق العراق "بهرز"، المعروفة بخصب أراضيها ونضج فاكهتها وتنوعها وثرائها الطبيعي، أن تبحر في قارب رقيق بمجاذيف غضة لتشق لها طريقًا مختلفًا، من دون أن تتعكز على حقيقة كونها شابّة جميلة جديرة بالرعاية والدعم والمساندة، بل كندّ عنيد لأقرانها من أبناء هذا الجيل، لاحظ أن أحدًا من النقاد الذين تصدوا لتجربتها الإبداعية، لم يصنفها في خانة الأدب النسوي، بل صُنّفت دائمًا في خانة الأدب العراقي المحض، على الرغم من أن تجاربها الإبداعية طافحة بكل ما يمت للأنوثة وإرهاصاتها بصلة، ويستند ويؤثث عوالمه بالدرجة الأساس على تجارب وتفصيلات تلك العوالم.

تاريخيًا، لم تشهد الحياة الثقافية العراقية، شأنها بذلك شأن الحيوات الثقافية الأخرى في العالم العربي، الكثير من التجارب النسوية البارزة التي تنتمي للأدب حصرًا وليس للنسوية الأدبية، أقصد أن تفرض المرأة الأديبة تجربتها على الواقع الأدبي في بلد ما من دون تلك التسهيلات النقدية المتعارف عليها اليوم على صعيد النفاق المجاملاتي في هدي من هيمنة التواصل الاجتماعي، فكانت تجربتها في وقتها، علامة بارزة في الحياة الاجتماعية العراقية والبغدادية، تحديدًا في تلك الحقبة التي شهدت الكثير من التجارب البراقة للنساء المبدعات، في مجال قاعات الفنون وتقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية وتصميم الأزياء وغيرها، وهو ما شكّل في مجمله الحياة الثقافية الثرة والرخاء الإبداعي الفني والأدبي، فلمعت في سماء البلاد أسماء بمثابة رموز ثقافية وإبداعية، من مثل ابتسام عبدالله ووداد الأورفه لي وشميم رسّام وليلى العطّار واعتقال الطائي وخيرية حبيب وغيرهن الكثير ممن شكّلن الطابع البرّاق للحياة الثقافية البغدادية في حقبة زاخرة بالعطاء من تاريخ العراق، ولم تكن لطفية الدليمي لتشذ عن القاعدة التي استندت إليها تجارب أولئك النسوة لجهة عدم التعكز على النسوية وترسيخ التجارب الشخصية بالأدوات الإبداعية المحضة، لولا أن لطفية الدليمي قد خاضت مخاضًا صعبًا لا تعمل التجارب فيه وفق نسبية معينة للنجاح، ألا وهو الأدب.



تعود معرفتي بالكاتبة إلى أيّام البدايات الوجلة، عندما كنا نحمل نصوصنا المرتبكة إلى مجلة الطليعة الأدبية التي كانت تُعنى بأدب الشباب آنذاك، فكانت تستقبلنا بابتسامتها المشرقة وقَصّة شعرها القصيرة دومًا وأناقتها اللافتة. كان الأمر أكثر من كونه مجرد امرأة جميلة طافحة بالإشراق، تجلس في مكتبها وتقرأ قصصنا. وبالنسبة إلى شاب حيّي قادم من الجنوب الفقير يتعثّر بتطلعاته البكر، كان الأمر أشبه باجتياز عتبة التردد ودخول عالم النّور المعطّر. وكان النشر في المجلة، التي نطالعها في مدننا البعيدة، بمثابة تذكرة مرور لعالم الإبداع ممهورة بالحضور العطر لتلك السيِّدة.

حتى عندما قرأت أولى رواياتها "عالم النساء الوحيدات" التي وقعت بين يديّ صدفة، لم يتزعزع إيماني بحضورها واختلافها وعمقها، بل ازدادت تلك الصورة التي أحتفظ بها وضوحًا وترسّخًا. وعلى الرغم من أنّني لم ألتقِ بها كثيرًا في بغداد، إلاّ أن عالمها الروائي المشيّد بين "عالم النساء الوحيدات" و"سيِّدات زحل"، طالما شكل لديّ مخاضة إبداعية شاسعة قلّما نجد لها مثيلا. على الأقل عندنا في العراق، حيث بقي أدب المرأة متواريًا نسبيًا وحييًا.

في الواقع لا أستطيع أن أسبغ أيّا من تلك الصفات على أدب لطفية الدليمي المختلف والعميق والخارج عن إطاره الزمني ومناخه الاجتماعي، ذلك الأدب الذي خدمته شخصية الكاتبة وحضورها القويّ في أن يتفرّد بهذه الطريقة المخالفة لما كان سائدًا في العراق. لقد لعبت عوامل عدّة في تحول الكاتبة إلى ظاهرة ثقافية ومعرفية ما زالت تترسّخ ملامحها عاما بعد عام، منها أن أدبها لم يقتصر على نمط معين من الكتابة الإبداعية، فهو متنوع وساع إلى التجريب واستغلال الممكنات بعيدًا عن التنميط والتجنيس، ومنها أن ثقافتها الواسعة وإجادتها للغات أخرى مهمّة مهّدت لها الدخول إلى عالم الترجمة الواسع والمهم والحيوي، كما أن تجربتها الشخصية في السفر والغربة والتغرّب، وما عانته ككاتبة امرأة في سِفر المدن الغريبة قد منحها رؤية واسعة وذاكرة متخمة بالصور والمواقف والتناقضات، لتتحول بعد كل ذلك إلى كاتبة ومترجمة وباحثة يشكل حضورها المتصاعد في المشهد الثقافي العراقي والعربي ظاهرة معرفية من نوع ما.

فأن تكتب رواية تصبح روائيا وأن تكتب قصة تصبح قاصا، لكن أن تكتب رواية وتترجم وتبحث في مناهل المعارف وتواصل حضورك في وسطك وتؤثر فيه وتبتكر الرؤى والأفكار، فأنت ظاهرة ثقافية تتجاوز كيان الكاتب بذاته إلى المحيط الثقافي الأوسع.

فقد استطاع البعض من المثقفين العراقيين القفز على واقع التشتّت وتفتّت المشهد الثقافي العراقي، ليشيّد محيطا ثقافيا فاعلا في البلد الذي يعيش فيه، متناغما مع المحيطات الشبيهة المتناثرة هنا وهناك مثل بقع ضوئية وامضة لتحكي قصة الارتقاء والإصرار على الفعل الثقافي الذي تحوّل إلى ما يشبه التحدي والمراهنة على عدم موت الثقافة والإبداع العراقي بإزاء ما ينكشف من تفصيلات مهولة لمخطط النيل من كل ما هو وطني وأصيل في العراق اليوم.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

# لطفية الدليمي.. إبداعٌ يصمدُ، مرضٌ ينحني

ياس خضير البياتي

وُلدت لطفية الدليمي في عام ١٩٤٣ في بغداد، في قلب العاصمة القديمة وبين ضفاف دجلة. كانت مدينتها ليست مجرد مسرح للحياة، بل كانت مدرسة غنية بالمعرفة والثقافة.

تخرجت في تخصص آداب اللغة العربية، ولم تكن شهادتها سوى مدخل لعالم أكثر اتساعًا. هذا العالم يشمل الفكر والثقافة والعمل الاجتماعي.

بدأت مسيرتها المهنية في مجال تدريس اللغة العربية، حيث زودت طلابها بحب اللغة ووعيها، قبل أن تنتقل إلى مجال الصحافة والمجلات الأدبية، حيث شغلت منصب محررة لقسم القصة في مجلة الطليعة الأدبية ومديرة تحرير مجلة الثقافة الأجنبية العراقية.

كانت كلماتها تتحول إلى نور، والنصوص التي تنشرها تضيف بُعدًا جديدًا لوعي القارئ العربي.

في حياة لطفية، المكتبة ليست مجرد مجموعة من الكتب، بل هي مدينة متكاملة من الحروف والصور والقصص. كل كتاب يُعد شارعًا، وكل صفحة نوافذ تطل على تجارب إنسانية، وكل فصل يمثل معبرًا إلى عالم داخلي شامل.

في مجموعاتها القصصية، من أعمالها الأولى إلى أحدث كتاباتها، تتحول تفاصيل الحياة اليومية إلى فضاءات وجودية.

في مؤلفي "ظلال المدينة" و"على عتبة الحلم"، تكتسب اللحظات الصغيرة طابعًا كاملًا، وكأن القارئ يتجول في شوارع بغداد، يشعر بأصوات المدينة ورائحة مقاهيها ومشاهد نهرها.

الشخصيات ليست مجرد وجودات؛ بل هي أصوات نابضة، وترتبط بشدة مع الزمان والمكان، حيث تحمل كل واحدة معاناتها وأحلامها، وكل حدث عابر يتسع ليصبح فضاءً للمعرفة والجمال.

أما في الروايات الكبرى: في "موسيقى صوفية"، تتدفق اللغة بقوة، حيث تتحرك بين الأزمنة وتذوب الموسيقى والصمت في تداخل السرد، مما يجعل اللغة تجسد الروح.

بينما يعيد "عالم النساء الوحيدات" صياغة وحدة المرأة بوصفها قضية مجتمعية وفكرية وصراخ وجودي، مشكلة صورة لمجتمع يواجه تحدياته، حيث يتقاطع الحرمان من الحرية مع البحث عن الهوية والذات.

في مجال النقد والمسرح: من خلال "نفي الأنثى من الذاكرة" و"جدل الأنوثة في الأسطورة"، تبرز لطفية عقلًا واسعًا ومرنًا يعي قوة اللغة والتحليل.

النقد يصبح أداة جمالية، والفكر جسدًا حيًا، واللغة تخلق جسورًا بين التراث والحداثة.

المسرح لديها يتجاوز مجرد النصوص المعروضة، بل هو حياة تتجدد، أسطورة نابضة، وتاريخ يتحرك، ووعي يتفاعل في كل مشهد.

لغتها ليست تجميعًا للكلمات، بل هي روح تنبعث بين السطور. الحروف تتلألأ، الصور تتناغم، والنبرة تظل نابضة بين الفكرة والعاطفة، بين الحلم ثم الواقع.

كل جملة تتحرك كأنها روح، وكل حدث بسيط يتسع ليصبح عالماً خاصًا، وكل صمت يحمل العمق ذاته للشخصية وهدوء العاصمة وعمق الثقافة العراقية.

في كتاباتها، يصبح القارئ ليس مجرد متلقي، بل شريكًا في الإبداع، يستشعر الصوت، يتأمل الصورة، يقيم المعنى، ويكتشف البعد الإنساني في كل كلمة.

هذه المزاوجة النادرة بين البلاغة والعمق الفكري هي التي جعلت أعمالها تصل إلى القراء في العالمين العربي والدولي، فترجمت إلى لغات مثل الإنجليزية والبولندية والرومانية والإيطالية والصينية، ليس لأنها تتميز بالغموض أو الأوروبة، بل لأنها تعكس صدقًا إنسانيًا يتجاوز كل حدود جغرافية.

لم تكن مجرد كاتبة، بل كانت ناشطة ثقافية ومؤسسة للتغيير الاجتماعي. إن إنشائها منتدى المرأة الثقافي في بغداد عام ١٩٩٢ ومركز "شبعاد" لدراسات حرية المرأة في عام ٢٠٠٤، بالإضافة إلى مساهماتها في الصحافة والمشاركة في الندوات العالمية، والكتابة في صحف عربية مرموقة، تمثل خطوات عملية في سبيل إعادة تمكين المرأة العربية من التعبير والوعي، ولم تكن مجرد صوت غائب في النقاشات.

لقد وضعت نموذج المثقف العربي الذي يدمج بين الإبداع، البحث، النقد، والترجمة، وبين الفكر والفعل، وبين الثقافة والنساء، وبين اللغة والهوية.

تعتبر بمثابة "معمارية السرد العربي"، حيث تتسم نصوصها ببناء مدروس: أساس ثابت، هيكل متين، تفاصيل بارزة، مع توزيع متناغم للمشاهد.

نفس الشيء يمكن قوله عن السرد عندها: تتمتع كل قصة، رواية، أو فصل ببنية محكمة.

الشخصيات والأحداث ليست عشوائية بل تتداخل لتشكل تجربة شاملة للقارئ. التفاصيل البسيطة— مثل رائحة الشارع، صوت النهر، أو لحظة صمت— تتحول إلى لبنات أساسية في النص، وليست زخارف بلا مغزى.

في مؤلفاتها، تظهر أحيانًا أكثر من زمن سردي أو وجهة نظر، لكنها تتداخل بشكل متقن، كما لو كانت طوابق متعددة في مبنى مترابطين وظيفيًا وجماليًا. حين يتصفح القارئ رواياتها ، يشعر وكأنه يتجول في مدن شاملة مليئة بالأحداث والعواطف والرموز.

المعمار الجيد في أعمالها لا يعتمد على الشكل الخارجي فحسب؛ بل له وظيفة دائمة تستمر عبر الزمن. وهذا ينطبق أيضًا على سردها: فهو يتضمن عمقًا فكريًا سواء في الثقافات أو النقد أو الفلسفة، مع جماليات اللغة القصصية، وأيضًا مع الصور الحية والإيقاع الموسيقي للنص، ومن خلالها يتمتع القارئ بتجربة غنية تجمع بين الاستمتاع والتفكير والتعلم في آن واحد.

كذلك تمتلك قدرة على الاستمرار والتأثير على مر الزمن، كما أن المباني المعمارية الناجحة تدوم، بل إن أعمالها تُدرس في الجامعات، تُترجم إلى عدة لغات، وتترك أثرًا بارزًا على الأدب النسوي والسرد العربي المعاصر. إن استمرار تأثيرها يعكس عمارة صلبة تثبت أمام التحديات.

واليوم، وهي تتلقى العلاج في إحدى مستشفيات الأردن لمواجهة فيروس قاس، نشعر بحزن عميق: أولًا لأنها مبدعة قدمت الكثير لوطنها، وثانيًا لأن الوطن لم يمنحها حقها في الغربة، دون أن يسأل عنها أحد كما يسأل عن الأسماء الجديدة في الساحة الثقافية.

لطيفة الدليمي ليست مجرد كاتبة، بل هي معمارية لوعينا الثقافي، مبدعة للجمال والفكر، وعكاس لروح العراق الحديثة، وما زال تأثيرها الأدبي يشع حتى في صمت غرف المستشفى.

نحن نقف إلى جانبها اليوم، ليس فقط لأن التاريخ يذكر إسهاماتها، بل لأننا ندرك أن هذا الصمت- صوت الذين لم يعيروا اهتمامًا لها-لا يليق بها ولا بنا، فحقها علينا أن نشيد باسمها، أن نقرأ أعمالها، وأن نحتفي بها كما ينبغي، حتى لو كانت المسافات تفصلنا عن بعضها البعض، وحتى لو كان المرض يسعى لخنق جسدها، فإن إرثها الثقافي سيبقى خالدًا، أكبر من أي حدود، وأقوى من أي عقبات.

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون